

جامعة بغداد / كلية التربية /إبن رشد
قسم اللغة العربية

الثُنائِياتُ السُوسيريَّة

قراءةٌ في المَفهومِ

بحثٌ تقدَّم به "علي محمد علي" إلى مجلس كلية التربية/إبن رشد في جامعة بغداد
وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغةِ العربيةِ وآدابِها
بإشراف الدكتور : خالد خليل هويدي

1436 هـ
2015م

المقدمة

الحمدُ لله بعدد قطرات المطر، وبعدد النجم والشجر والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين محمد وعلى آلهِ الغر المنتجبين وصحبهِ ومن والاهم اجمعين.

وبـــــــــعـــد:

فإنَّ اللُّغةَ العربية لغة تعددَتْ عُلومُها وتشعبَتْ فكان لابد لي – بعد الوصول الى المرحلة الرابعة – أن اختار علمًا من تلك العلوم للبحث والدراسة.

وبعد الخوض في غمار تلك العلوم والسعي الحثيث بين دفات الكتب .والسير في اروقة المكتبات وقعت عيني على كتاب سوسير او بالأحرى محاضرات سوسير التي دونت بعد وفاته في كتاب اسموه علم اللغة العام او محاضرات في علم اللغة.

فقررت ان أتّخذ جانبًا من افكاره موضوعًا للبحث والدراسة، ولله الحمد تم اختيار الثنائيات كموضوع للبحث.وبمساعدة الدكتور خالد خليل هويدي استاذ اللسانيات في كلية التربية/ ابن رشد قسم اللغة العربية. الذي قدم لي الكتب المتعددة التي ساعدتني على البحث في هذه الثنائيات. فشرعت في كتابة البحث. فبدأته ممهدا للثنائيات معرفا بذلك علم اللغة ومتناولا لآراء العلماء في ذلك الحد منذ زمن الاغريق والرومان مرورا بالعصور الحديثة وحتى عند العرب قديما وحديثا. حتى الوصول الى نقطة التحول في هذا العلم عند فرديناند دي سوسير الذي هو موضع الدراسة والبحث. وقسمت البحث بعد التمهيد على اربعة مباحث ، تناولت في المبحث الأول اللغة والكلام وشرحت مفهوم اللغة والكلام وفارقهما. وبعدها انتقلت للمبحث الثاني. وتناولت فيه الدال والمدلول. والعلاقة بينهما واعتباطية الاشارة اللغوية. وبعدها يأتي المبحث الثالث الذي خصصته (للتزامن والتعاقب) شارحا به التزامن وحدّه وكذلك التعاقب وتفضيل سوسير المنهج الوصفي الساكن على التاريخي المتعاقب .ويأتي بعد ذلك المبحث الرابع متوجا للبحث والدراسة طارحا به السياقيّة والإيحائية وطبيعة كل واحدة منهما. ولابد ان نشير هنا الى انني اخترت في بحثي هذا اربع ثنائيات من ثنائيات سوسير .وباختياري هذا لا يعني ان سوسير اقتصر على تلك الثنائيات في منهجه اللغوي، ولكن اخترتها لكثرة استعمال اللغويين لها. وتناولتها بالبحث والدراسة حتى بدأت وكأنهن بنات سوسير الاربع لا غير. ومن تلك الثنائيات التي غابت عن البحث ثنائية القيمة والدلالة التي عنى بها ان الكلمة لها

معنى خاص بمعزل عن السياق ومدلولها الخاص. اما اذا وضعت هذه الكلمة في سياق (اي سياق) نجد انها تُعطي معنى يختلف عن المعنى التي وردت به. وتسمى القيمة .فتناولت الثنائيات الاربع دراسة وتحليلا بماتوافر لدي من مصادر لغوية ساعدتني على انجاز هذا البحث .والحمد لله الذي اسأله أن أكون قد وفقت في اتمامه ..وها انا اضعه بين ايديكم... وارجو ان ينال من الغايات اقصاها .

ومن الله التوفيق...

علي محمد علي

٢٠١٤/١٢/٢٦م

٤/ربيع الأول/١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العلي العظيم

﴿ سورة الحجرات: ١٣ ﴾





الى النجم الذي أفل....

الى من علّمني كيف أخطو...

فجعلَ الحياةَ لي انشودةً تُعزفُ على أوتارِ الابوة..

فافقهتُ أنَّ الحياةَ مِنْ دُونِهِ عدمٌ..

إلى من كُنتُ سَمِيَّهُ...

جدّي (عليّ) (رحمه الله)..

وإلى والديّ اللذين عبّدا لي طريق النجاح بايديهما فاصبحا القمرين اللذين اعرف لهما الصّبح والليل.

وإلى كلِّ مَنْ أحبَّ اللّغة العربيّة وسرَتْ في عروقهِ كما يسري الماءُ في شقوقِ الأرض..

علي



أوجّه شُكري وامتناني الى جميع اساتذتي الأعزاء، من علمني لغة الضّاد، فتحمّلوا العناء على الصّعد كافة.

وأخصُ منهم صاحب المحيّا الوضّاح والثغر الباسم، واكتفي بان قول له قول أبي تمام لاهديه الى أبي تمام....

يا سائلي عنْ خالدٍ وفعالهِ ‏ ‏ رِدْ فاغترفْ علماً بغيرِ رشاءِ

أستاذي الغالي الدكتور خالد خليل هويدي، الذي كان له الفضل في انجاز هذا البحث.

فكلّما قدمت له من شُكرٍ وعرفانٍ لا أفي بالغرضِ...

فله جزيل الشُّكر مادامَ في القلب نَبَض...

كما اشكرُ كلَّ مَنْ ساعدَني وقدّم لي يد العون في إتمام بحثي.

راجيا من الله تعالى التوفيق والسُّداد...

التمهيد

مفهوم اللسانيات ونشأتها

المفهوم

اللسانيات او علم اللغة (Linguistics): وجهان لعملةٍ واحدةٍ، لكنهما ليس كفقهِ اللغة (Philology)،لان فقه اللغة ((لا يختص بدراسة اللغة فقط . ولكن يجمع الى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والنتاج الادبي للغات موضع الدراسة .

اما علم اللغة : فهو يدرس اللغة نفسها لكن مع اشارات عابرة – احيانا- الى قيم ثقافية وتاريخية ،ويولي علم اللغة معظم اهتمامه الى اللغة المكتملة وان كان يوجه للغة المكتوبة شيئا من الاهتمام))[١].

لقد حاول الانسان منذ اقدم العصور ان يتصل بمن حوله من ابناء جنسه، واتخذ وسائل عديدة لتحقيق ذلك، واستعمل لغات متعددة ما يعرف بلغة العيون، ولغة الحيوانات كالنمل والنحل، ولغة الصم والبكم ، ولغة الرسم والتصوير والنحت وغيرها. . إننا نستطيع ان ندرك سمة مشتركة تجمع بين هذه اللغات وهي اتخاذها وسيلة للإبلاغ، ولكن في مقابل ذلك سنواجه مشكلات معقدة –اذا ما نهجنا منهجا علميا – في تمييز تلك اللغات بعضها عن بعض. لقد ادرك اللغويون والعلاميون بوجه عام هذا اللبس الناجم عن استخدام كلمة لغة فحاولوا التمييز بين اللغات المعروفة وغيرها من اللغات المشار الى بعضها سابقا فاطلقوا عليها اسم اللغة الطبيعية.[٢]

فعلم اللغة : ((هو دراسة اللغة، والمعنى الاشتقاقي للغة هو انها "تلك التي تتعلق باللسان الانساني". وهناك تعريفات اوسع للغة بانها تلك التي تحمل المعنى" او "كل شيء له معنى مفيد" او "كل شيء ينقل المعنى من عقل انساني الى عقل انساني اخر" وفي هذه التعريفات الواسعة لا تقتصر اللغة على صورتها المكتملة فقط، وإنما تحوي الى جانب ذلك الاشارات، والإيماءات ،وتعبيرات الوجه ،والرموز من اي نوع ،مثل اشارات المرور، وحتى في الصور والرسوم، ودقات الطبول الخاصة في افريقيا ،واطلاق الدخان الخاصة بطريقة معينة بين الهنود الامريكيين، كل هذه الاشكال للنواقل

---

[١] اسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة احمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة، ط ٨،١٩٩٨م،ص:٣٥.وينظر: فصول في فقه اللغة العربية،الدكتور رمضان عبد التواب،متكبة الخانجي،القاهرة،ص:٩.

[٢] ينظر: المعنى وظلال المعنى(أنظمة في الدلالة العربية)،د.محمد محمد يونس علي،دار المدار الاسلامي،بيروت،لبنان،٢٠٠٧،ص:٢٥و٢٦.

المعبرة تلقي اهتمام عالم المعنى الذي يهتم بكل رمز له معنى مفيد، بغض النظر عن اصلهِ وطبيعة دلالتهِ. ولكن اللغوي لا يلقي لها بالا الابدرجةٍ محدوةٍ))[١].

ونجد ابن جني"٣٩٢هـ" كان دقيقا في حد اللغة حيث قال:((انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم))[٢].

((وهذا التعريف يتضمن العناصر الاساسية لتعريف اللغة ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة، ويؤكد ان اللغة اصوات، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذي يتوهم ان اللغة في جوهرها ظاهرة مكتوبة، ويوضح تعريف ابن جني طبيعة اللغة من جانب ،ووظيفتها من جانب اخر))[٣].

وهو اهم تعريف تراثي قرر فيه صوتية اللغة ووظيفتها التواصلية في المجتمع، ويبدو ان علماء اللغة العربية كانوا مشايعين لراي ابن جني، من مثل ما نجده عند السيوطي والفيروزبادي والقاضي عبد الجبار وغيرهم.[٤]

ان التعريفات الحديثة للغة تنص على ان ((اللغة نظام من الرموز، ومعنى ذلك ان اللغة تتكون من مجموعة من الرموز تكون نظاما متكاملا، واللغة اكبر نظم الرموز التي تعامل بها الانسان تركيبا وتعقيدا))[٥].

ويمكننا ان نقول استنادا على ما تقدم بان اللغة مرتبطة بالجانب البشري دون غيره، ذلك لأنها تحتاج الى فك الرموز والشفرات الكلامية لتحويلها الى معنى مفهم، وايضا تتطلب الدقة والفهم وهذا ما يسمى علم اللغة الذي يعرفه المحدثون اللغويون:((بانه الدراسة العلمية للغة ويعنون بذلك استعمال لمناهج العلمية في دراستها وقد كان هدفهم من ذلك ان يجعلوا دراسة اللغة عملا دقيقا منظما على النحو الذي تحقق في دراسة العلوم التجريبية الاخرى، او هو العلم الذي يدرس اللغة او اللهجة دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها :الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات

---

[١] اسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة احمد مختار عمر،ص:٣٥.

[٢] الخصائص،ابو الفتح عثمان بن جني،تحقيق عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١ ،٢٠٠٣م،ص٨٧.

[٣] مدخل الى علم اللغة،محمود فهمي حجازي،دار قباء،القاهرة،(د.ت)،ص:١٠.

[٤] ينظر :في اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة،د.نعمان بوقرة،عالم الكتب الحديث،عمان،٢٠٠٩م،ص:٣.

[٥] المصدر السابق ،الصحيفة نفسها.

التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض وتربطها بالظواهر النفسية ، وبالمجتمع ،وبالبيئة الجغرافية))[١].

فهذا العلم كما قال سوسير هو دراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها.

النشأة

إنَّ اللغة ليست ظاهرة حديثة بل ولدت مع الانسان وتطورت ايضا مع تطوره، وإن الانسان مارس اللغة عبر الالف السنين فاللغة قديمة قدم المجتمع الانساني، ولكن، كتابتها ظاهرة حديثة نسبيا، وهناك شعوب كثيرة لم تدون لغتها الافي السنوات الاخيرة.[٢]

إن البحث في تاريخ علم اللغة يكشف عن العلاقات الوثيقة التي ترتبط بالعلوم والاتجاهات الفكرية السائدة، فنرى ان علم اللغة نشأ عند الهنود للمحافظة على كتابهم المقدس (الفيدا) ونشأ عند الاغريق متأثرا (بفلسفتهم)، ونشأ عند العرب متأثرا بالقرآن الكريم.....وعند ظهور العلوم التجريبية اندفع علماء اللغة للإفادة من هذه العلوم. وكان الشبان النحويون حريصين اشد الحرص على ان يربطوا علم اللغة بالعلوم الطبيعية. الامر الذي جعل (سوسير) ينتفع بعلم الاجتماع، واصطنع منهجا لدراسة اللغة متأثرا في دراسة الظواهر الاجتماعية.[٣]

الهنود

نستعرض الهنود كونهم يمتلكون اول تفكير واضح يتصل باللغة، وهذا لا يعني انهم اول من فكروا باللغة واول من تطرقوا لها، ولكن ما وصل الينا من نصوص قليلة جعلت الكثير من المؤرخين يبدؤون من الهنود، وفضلا عن ذلك((لعبت العقيدة الدينية دوراً هاماً في التأسيس لعلم اللغة حوالي ٢٥٠٠ ق.م حين لاحظ الكهنة أن اللغة التي يستخدمونها في شعائرهم تختلف عن لغة الفيدا "Veda" (النصوص المقدسة المصاغة بلغة الهند القديمة) واعتقدوا أن نجاح بعض الطقوس يحتاج لاستخدام اللغة القديمة مما يستلزم إعادة إنتاجها، فقام كاهن يُدعى بانيني Panini قبل ألف سنة من الميلاد بتقنين

---

[١] ينظر: محاضرات في اللسانيات (سلسلة محاضرات على وفق مقررات اللسانيات في الجامعات العراقية،د.خالد خليل،د.نعمة دهش الطائي،مكتبة نور الحسن،العراق،بغداد،٢٠١٥،ص:٣٧.

[٢] مدخل الى علم اللغة،د.محمود فهمي حجازي،ص٩و١٠.

[٣] ينظر: محاضرات في اللسانيات،ص:٦٣.

القواعد النحوية الحاكمة للغة السنسكريتية حتى يمكن استخدامها كلغة طقوس دائمة))[١].

وهم ايضا من السّبّاقين في الدرس اللّغوي، وقد انتقلوا الى دراسة اللهجات والرطانات تيسيرا على المتكلمين بهذه اللغة، وكان عمل (بانيني) بذرة خصبة لنمو هذا العلم في انحاء متفرقة من العالم.[٢] فالعالم بانيني قدّم للغة الهندية خدمةً لا تنساها ، يقول الأستاذ احمد مومن:((إن عمل بانيني عمل شديد التعقيد لا يستطيع ان يفهمه الا من كان متضلعا ومتخصصا بالسنسكريتية، ولا يمكن ان يُشرح إلا بالاستعانة بشروح تابعيه، ويحتوي هذا العمل على "٤٠٠٠" قاعدة نحوية ، ادرجت كل قاعدة في مكان مناسب، ولا يتسنى فهم اي قاعدة إلا بفهم القواعد السابقة. اما البحوث التي صدرت بعد بانيني، فلم تكن الا مجرد شروح وافية تعكس بدقة مبادئ هذا العلامة ، ومن اشهر هذه الشروح (باتنجالي) الموسوم بــ (اعظم الشروح) والمعروف باللغة الهندية بـ (Mahaabhasyia)))[٣]

ومن انجازات بانيني ايضا كما وصفه الدكتور محمد حسن من اعظم ماابدع بانيني هو انجاز (الصفر اللغوي) مايشابه في العربية تاء التانيث التي تلحق الفعل الماضي فيحدد جنس الفعل بوجودها وخلوه منها.[٤]كل هذه الانجازات وضعها بانيني في كتابه (المُثمِّن).

اليونان(الإغريق)

كان ابرز نتاج تركه اللغويون اليونانيون ((ذلك الجدال الذي دام عدة قرون بين علماء الاغريق حول نشأة اللغة، وأدى بهم إلى الانقسام الى فريقين :الطبيعيون ،والاصلاحيون، ويرى الفريق الاول وعلى راسه (افلاطون): ان اللغة من صنع الطبيعة اي انها انحدرت من اصل تحكمه قوانين خالدة غير قابلة للتغير. واخذت بهذا الرأي مدرسة الشذوذيين وعلى راسها (قراطيس) ومدرسة الرواقيين ومؤسسها (زينون) حوالي ٣٠٠ق.م، اما الفريق الذي يتزعمه (ارسطو) فيؤكد على ان اللغة من قبيل الاصطلاح، أي انها وليدة العرف والتقليد والتزم بهذا الرأي القياسيون وعلى راسهم (ارستراخوس) والابيقريون وعلى رأسهم (أبيقور)، وادى النقاش بين دعاة الطبيعة

[١] بحث نشر على شبكة الانترنت،منتدى سبيل الافضل،وعلى الرابط، http://sabil.alafdal.net/t217-topic.

[٢] ينظر،التفكير اللغوي بين القديم والجديد،د.كمال بشر،دار غريب،القاهرة،٢٠٠٥م،ص:٨.

[٣] اللسانيات النشأة والتطور،الاستاذ احمد مومن،معهد الدراسات الاجنبية،جامعة قسنطينة، الجزائر،ط٢، ٢٠٠٥، ص:١٢.

[٤] ينظر: مدخل الى علم اللغة،د.محمد حسن عبد العزيز،ص:٢٥٠.

والاصلاح إلى الخوض في مسألة اخرى أسالت كثيرا من المداد وتمثلت في البحث عن علاقة الدال بالمدلول))[١]

وقبل ان اتحول الى العرب والدرس اللساني عندهم لابد ان اشير الى فضل وجهود احد القضاة البريطانيين صاحب الفضل على الدراسات الفيلولوجية ، (السير ويليام جونز)الذي اكتشف العلاقة بين اللغة السنسكريتية(لغة الهنود القدماء) و(اللغة اليونانية)و(اللاتينية)وبعض اللغات الاوربية الاخرى، فجاء هذا الاكتشاف بطريقة موضوعية ومنهجية، وعادة ما نجد المؤرخين يفتتحون اللسانيات التاريخية المقارنة من سنة (١٧٨٦م) اي السنة التي اعلن فيها السير ويليام جونز تلك العلاقة رسميا.[٢]

الدرس اللساني عند العرب

كانت لنشأة العلوم العربية أثرا من اثار الاسلام فلم يعرف على العرب قبل الاسلام جهدًا يذكر في دراسة لغتهم. اخذت ظاهرة لغوية غريبة تتفشى في هيكل اللسان العربي شكلت خطرا كبيرا على نسقه البنائي المثالي، وهي ظاهرة اللحن كما حدها علماء العربية هي : عيبٌ لسانيّ يختص بالنطق كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم. وهو ايضا امالة اللفظ عن جهته الصحيحة ،او تغيير احرف بدلا من احرف اصلية في الكلمة.[٣]

فيما تقدم خص الكلام العصور المتقدمة اما في العصر الحديث يقول الدكتور خالد خليل:((قد يكون من الصعب تحديد البدايات الاولى لانتقال الفكر اللغوي الغربي الحديث الى البلاد العربية لكن الذي لا شك فيه هو ان هذه البدايات تعود الى بداية الاتصال بالحضارة الغربية في العصر الحديث والذي بدأها رفاعة الطهطاوي ،وجورجي زيدان وغيرهما ممن تأثر بالحضارة الغربية، وقد تجلت ملامح التجديد عند الطهطاوي من خلال محاولته لتصحيح بعض الأفكار اللغوية المغلوطة التي كانت سائدة بين اوساط المتعلمين، ولاسيّما في الازهر، اذ ساد اعتقاد مفاده ان اللغة الفرنسية لا نصيب لها من الفصاحة والقواعد التي تحكم اصولها او مبانيها)).[٤]

---

[١]اللسانيات النشأة والتطور،ص:١٥و١٦.

[٢] ينظر:المصدر السابق،ص:٦١.

[٣] ينظر:اللحن اللغوي واثاره في فقه اللغة،محمد عبدالله ابن التمين،دار الشؤون الاسلامية ،الامارات،دبي،ط١، ٢٠٠٨م، ص:٢٢.

[٤] التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث (الاصول والاتجاهات)،د.خالد خليل هويدي،مكتبة عدنان،بيروت،ط١، ٢٠١٢م، ص:١٠٩.

بعد التأثر في المنهج التاريخي المقارن الذي ظهرت ملامحه بوضوح عند جورجي زيدان في كتابه "الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية". جاء كتاب ابراهيم مصطفى (إحياء النحو) في العام (١٩٣٧م) ليكون بذلك اول محاولة حديثة تصدر لتيسير النحو العربي.

وجاءت بعد محاولات ابراهيم مصطفى محاولات متعددة عمدت إلى نقد النحو العربي، كان من أبرزها محاولة (مهدي المخزومي) الذي عدت آراؤه امتدادا لأستاذه (ابراهيم مصطفى). فكانت هذه المحاولات تهدف الى اخراج الفكر العربي من العزلة التي يعيشها وجعلته مختلطا بالثقافات الاخرى ، وتوج هذا الامر مجيء المستشرقين الذين مهدوا الطريق امام العرب للانفتاح على الافكار الغربية.[١]

العصر الحديث

إن أبرز ماحدث في العصر الحديث في مجال علم اللغة على يد العالم السويسري (فرديناند دي سوسير)، إذ أصبح علم اللغة – الذي كان يهتم بدارسة تاريخ اللغات والتوصل الى لغة الاصل- يهتم بدراسة اللغة آنيا، وهذا ما يعرف باللسانيات الآنية، التي تعني بوصف اللغة كما هي موجودة في نقطة معينة من الزمن وبالخصوص في الوقت الحاضر.

سوسير ذلك الشخص الذي ولد عام ١٨٥٧م، وشاءت الاقدار ان يولد بعد عام واحد من عالم النفس (سيجموند فرويد) وقبل عام من ولادة (إيميل دوركايم) فهؤلاء الثلاثة كان دورهم مهما في توجيه العلوم الانسانية وجهة جديدة فحدثت على ايديهم نقطة الانعطاف المثلى في تاريخ العلوم الإنسانية ، وخاصة سوسير في علم اللغة الذي يعد ابا للبنيوية والسيمائية. وبعد ان عاد سوسير الى جنيف ودرّس فيها طلابه ، كان يلقي عليهم محاضرات في علم اللغة حتى وفاته سنة١٩١٣م،وقام اثنان من طلبته هما (شارل بالي، والبرت سيكاهي) بجمع ما القى عليهم من محاضرات ونشروها بكتاب اسموه (محاضرات في اللسانيات العامة)،(Cours de linguistique generale)أم ١٩١٦م.[٢]

---

[١] ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث (الاصول والاتجاهات)،ص:١١٠.
[٢] ينظر:اللسانيات نشأة وتطور،ص:١١٩.

(المحتويات)

المبحث الاول

ثنائية اللغة والكلام

اللغة والكلام

إن فكرة الثنائيات التي جاء بها **فرديناند دي سوسير** كما يقول الدكتور محمد محمد غالي: هي عقيدته المسيحية وليس علم الاجتماع وحده فقط كما يقول الكثير من الباحثين وقد اشار في كتابه (محاضرات في الالسنية العامة) الى ان الثنائيات التي يعتنقها مستمدة من ثنائية الجسد والروح في العقيدة الدينية، بل هي اشبه بالأكسجين والايدروجين حين يتحدان ليتكون الماء، فنراه قد قسم العلاقات اللسانية على (الدال) و(المدلول)، وايضا قسم الدراسات اللسانية على (وصفية)و (تاريخية)...[١]

وميز سوسير بين اللغة والكلام، ووضع لكلٍّ منهما تعريفًا خاصًا ((تشير اللغة الى منظومة من القواعد والاصطلاحات المستقلة عن الافراد اللذين يستعملونها وتوجد قبلهم. ويشير الكلام الى استخدام اللغة في تحققات خاصة. وبتطبيق هذا المفهوم على المنظومات السيمائية عامة وليس على اللغة المنطوقة فقط))[٢].

فجعل الكلام نشاطًا فرديًا متعلقًا بالذكاء والارادة، بينما جعل اللغة ملكة بشرية اداتها اللسان، ولايوجد كلام بلا لسان ولكن توجد لغة (لسان) بلا كلام ، على حد قوله.[٣]

ويمكننا القول – ايضًا- إنّ اللغة فضاء اجتماعي غير فردي، فهو مفروض على الفرد وخارج عن ارادتِهِ، واللغة شكلٌ لا مادة فهي تتسم بالتجريدِ، وعلى هذا يكون الكلامُ الاستعمال الفعليّ لهذه اللغة، لذلك يكون الفرد حرًا في التعاملِ مع انظمةِ اللغة.[٤]

ونرى الحدَّ الاكثر دقة وتعبيرًا ذلك القائل:((إنّ اللغةَ قانونٌ يسمح وجوده للإنسان ان يتواصل داخل مجموعته اللغوية، في حين ان الكلام هو تشغيل هذا القانون بأفعال ملموسة)).[٥]

---

[١] ينظر:النحو بين القديم والحديث،محمد محمد غالي،الشركة المصرية العالمية،مصر،ط١، ٢٠٠٤م، ص:٢٣.

[٢] اسس السيميائية ،دانيال تشاندلر،ترجمة د.طلال وهبة، مراجعة د.ميشال زكريا،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠٠٨م، ص:٣٩.

[٣] ينظر:اللغة والخطاب،عمر اوكان،افريقيا الشرق،بيروت،لبنان،٢٠٠١م،ص:٤٢.

[٤] ينظر: محاضرات في اللسانيات العامة،ص:١٤٤.

[٥] الثنائيات اللسانية،د.التهامي الراجحي الهاشمي،دار النشر المغربية،ص:٢٠.

تقول الدكتورة **نعيمة** : ((ان سوسير يفضل اللغة على الكلام لتفضيله الجماعيّ على الفرديّ والجوهريّ على الثانويّ، والعام على الخاص ،والمستقل بالكينونة على المرتبط بغيره، والثابت على المتغير........،وهو ما يعبر بذلك عن التمييز بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام))[١].

فالدكتورة **نعيمة** توضح اهمية اللغة لدى سوسير، لكنه لا يفضلها تفضيلا تاما على الكلام (كما تقول الدكتورة) والامر هو ان اللغة تفيده للدراسة وتتوافر فيها الجاهزية بحكمها اوسع حرية من الكلام، وهذا ما سنبينه عند سوسير.

ونرى ان سوسير في الحقيقة لا يجعل الكلام منعزلا عن الدراسة اللسانية، وهذا ما يناقض راي كثير من الباحثين ، ذلك لان ((من البديهيّ انّ اللغة تتكون من اللسان والكلام. واللسان والكلام عبارة عن وجهي اللغة المختلفين المتغايرين، لذا فهما متلازمان ويستدعي احدهما الاخر، اذ يرتكز وجود احدهما على وجود الاخر. ولهذا السبب لم يكن امام سوسير غير التفكير في علم واحد وعامل يشمل هذين المكونين معا وهو علم اللغة. لكن بالرغم من هذا التلازم، من الاليق منهجيا الفصل بينهما اي تفكيك من جهة النظر الواحدة الى جهتي للنظر. ذلك انه بالرغم من الاتحاد بين اللسان والكلام، فان هذين المكونين كيانان متمايزان باعتبار ان كل مكون يجمع بين وقائع الطبيعة المختلفة. واذا ما تم الجمع بين هذين النمطين من الوقائع ونُظر اليهما اعتمادا على جهة واحدة للنظر، فانه سيتعذر في هذه الحالة تحديد اللغة والتعرف عليها اذ سنكون في ازاء ركام متلبس من الاشياء مادامت اللغة مكونة من ملامح مختلفة متغايرة))[٢].

وواضح اذا، انه لا ضيرَ من الابقاء على الفصل بين اللسان والكلام خصوصا وان وضع نظرية للغة لا يستقيم ولا يتيسر بدون تفكيك اللغة الى هذين المظهرين والتمييز بينهما ،وتحديد موقع كل منهما داخل قوسين اللسانيات بأتمها ويعني هذا ان وضع اللسانيات شمولية تضم لسانيات اللسان ولسانيات الكلام لا تعني باي حال من الاحوال، اعادة دمج الفعلين اللغويين في وحدة واحدة مادام لكل فعل لغوي من هذين الفعلين منهج خاص به لأننا في هذه الحالة لم نخلق علما واحدا ووحيدا بل علوما متداخلة

---

[١] سوسير ولسانيات الكلام،د.نعيمة سعدية،مقال،جامعة محمد خضير ،سكرة،كلية الادب واللغات،قسم الاداب واللغة العربية،ص:٢.

[٢] مدخل للسانيات سوسير،د.حنون مبارك،دار توبقال،الدار البيضاء،المغرب،ط١، ١٩٨٧م، ص:٣٥.

تبقى في سراديب اللسان رغم طبيعته الجوهرية. وان الامر يتطلب تراتبية داخل دراسة اللغة، فالقسم الاول يخص لسانيات اللسان او لسانيات الحلق،

والقسم الثاني يخص لسانيات الكلام وهي لسانيات تابعة للسانيات الاصل. ووفق هذا المنظور فان اللسانيات الشمولية موضوعان متمايزان، موضوع جوهري وهو الاصل، وموضوع ثانوي وهو فرع عنه وتابع له.(١)

فكان من المنهجي على سوسير البدء في الموضوع الجوهري باعتباره قادرًا على اضاءة جوانب المشكلة اللغوية ومعالجة مكوناتها والتفريق بينهما.

نلخص مما تقدم ان سوسير لم ينفِ الكلام ولم يبعده من الدراسات اللسانية كما قد توهم بعض الباحثين، بل جعله صنو اللغة في الدراسة، وان الكلام لا يغيب في الدراسات اللسانية الا مؤقتا وفق متطلبات منهجية، مادام يستحضر ويخصص له في الدراسات اللسانية، صحيح انه ليس من صميم الدراسات اللسانية الصارمة لان دراسته تتطلب الاستعانة بالعلوم الاخرى، اي عدة مناهج تختلف عن اللسانيات في المنهج ،ولذلك اكد سوسير على ضرورة التمييز بين هذين النوعين من الدراسة، ولان اللغة كما قلنا في حدها ظاهرة جماعية ،فلذلك يسهل دراستها على اللغوي، وعلى هذا فان الكلام يختص بالفرد مما يتطلب ان يستعين الباحث بعلوم اخرى تساعد على معرفة خصائص هذا الفرد ليتوضح له دراسة اللغة لديه.(٢)

إن اللغة في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية، وخصوصيتها ليست مجردة بل هي متواجدة في عقول الناس، اي هي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الافراد الناطقين بلسان معين، ونلاحظ ان سوسير يشبّه اللغة بالقاموس الذي يمثل بالأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يطيق الفرد الواحد ان يختزلها في دماغه.(٣)

---

(١)ينظر: مدخل للسانيات سوسير،ص:٣٥.
(٢)ينظر:المصدر السابق ،:٣٦.
(٣) ينظر: اللسانيات نشأة وتطور،ص:١٢٣.

يقول الدكتور عبد السلام المسدّي واصفًا اللغة:((لكن الذي لم يكن السابقون يدركونه والذي لم يستقر في اذهان غير السابقين من الحاضرين ومن المعاصرين وربّما من القادمين هو ان معرفة الاشياء اصبحت الان تمر عبر معرفة اللغة. نعم! إننا قد نعرف الاشياء، وقد نعرف اننا نعبر عن معرفتنا تلك بأداة التعبير المثلى وآلة الافصاح الكبرى التي هي اللغة، لكننا لا نعرف ان اكتشاف اسرار اللغة هو الذي يعيننا على اكتشاف اسرار الاشياء في الوجود، كل الاشياء وكل الوجود)).[1]

واذا ما قرأنا ما قاله الدكتور عبد السلام نجد ان مقولته اتصفت بشيء من المبالغة في القول، هذا ما اتضح لي، وبخاصة في عبارته (من الحاضرين والمعاصرين) ولم يكتفِ بهم بل تعدى الى القادمين وجردهم من علميّة الشيء المذكور. كيف لا يخطر على بال الحاضرين والمعاصرين ومنهم **سوسير** من جعل اللسانيات تأخذ مسارًا اخرًا؟!، ومنهم **بريال** و**هلمسليف** والعديد من الباحثين العرب.

فان الكلام حسبما عرفنا به ،هو فعلٌ كلاميٌّ ملموسٌ، ونشاط انساني مراقب بما يشبه **(الاداء)** عند **تشومسكي**، وهذا يعني اننا ممكن ان نصل الى **"لغة"** جماعة ما عندما ناخذ عددًا كبيرًا من مظاهرِ كلام الافراد، وعليه فان الكلام لا يكتسب اهمية كبيرة بالنسبة للساني لان موضوع اللسانيات هو **اللغة** بمجموعها الكلي، لكن دراسة "الكلام" تفيدنا في معرفة **الحبسة** وتحليل الاسلوب، والامراض العقلية والنفسية، لكنه يدخل في الدراسات اللسانية.[2]

فمما تقدم لهو دليل على ان الكلام - وان كان لا يشكل اهمية كما تشكل اللغة في الدراسات اللسانية - يدخل ضمن الدراسات اللسانية.

---

[1] مباحث تاسيسية في اللسانيات،د.عبد السلام المسدّي،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان،ط١، ٢٠١٠م،ص:٩.

[2] ينظر:اللسانيات نشأة وتطور،ص:١٢٤.

المبحثُ الثاني

ثُنائِيَّةَ الدّال والمدلُول

الدال والمدلول

إنَّ الدال والمدلول لدى سوسير هما طرفا العلامة اللغوية. فالدال : هو الصورة الصّوتيّة السّمعيّة المُكونة من مجموعةٍ من الاصوات التي تثير لدى المستمع تصورًا نفسيّا ما فيؤدي هذا التصور بدورِهِ إلى المدلول. فالمدلول إذًا هو ذلك التصور الذهني النفسي الذي يملكه الفرد عن الواقع الخارجي.[١]

فسوسير أبعد بذلك المرجع الخارجي للعلامات اللغوية ما وسَمها بالانغلاق على الداخل والانطواء عليه. الامر الذي اثر - فيما بعد - على الدرس الأدبي البنيوي ، ذلك الذي اقصى المرجع الخارجي في دراسة الادب. وانغلق على دراسة النّص دراسةً بنيويّة داخليّةً بعيدا عن السياقات الخارجية التي تمس النّص أو المؤلف.[٢]

إن نظرة دي سوسير الى الدال باعتباره صورة ذهنيّة تجعلنا ندرس وحدة محدودة متميزة. أما لو درسنا الشق المادي لهذه الصورة فاننا سنتعرض الى صورٍ فرديّةٍ غير محدودةٍ. وخير دليل على ذلك - مثلا - الحرف الذي يطلق عليه بالعربية (نون) له في اسماعنا صورة ذهنية واحدة، ولكن له في الواقع المنطوق صورا فعلية مختلفة متعلقة بما قبلها وما بعدها من الحروف (اي موقعها في السياق) كما تقول انياب، عنبر. انفال......

وهذا يدل على ان الصور الذهنية يمكن ان تكتب ،وكتابة الكلمات السابقة لهو دليلٌ على ذلك. لكن الصورة الفعلية - لحرف النون الذي تمت كتابته – لا يمكن ان تكتب.[٣]

وتلخيصا لما تقدم يطلق سوسير على الصور الاصغائية (دالا) وهي ليست الصوت الفيزيائي المحض وإنما الاثر النفسي الذي يحدثه الصوت في الذهن. وتتجلى هذه الخاصية النفسية للدال (او الصورة الاصغائية) في الحوار الداخلي ، اذا نستطيع التحدث مع ذواتنا او استظهار قصيدة في عقولنا دون تحريك اعضاء النطق (الجهاز المصوت).ونتيجة هذه الطبيعية الاصغائية (السمعية) للدال كانت خاصيته الاساسية الامتداد في الزمان على شكل خطي. فالصور الاصغائية لا تنظم حضورا الا على خط طولي زماني متتابع، حيث يعقب بعضها ببعض آخر ولا يمكن في لحظة من لحظات التكلم اصدار الا فعل صوتي وحيد.[٤]

---

[١] ينظر:محاضرات في اللسانيات،ص:١٤٧.

[٢]ينظر: المَصدَرُ السّابق،الصّحيفةُ نَفسُها.

[٣] ينظر:مدخل الى علم اللغة، د.محمد حسن،ص:٣٠٨.

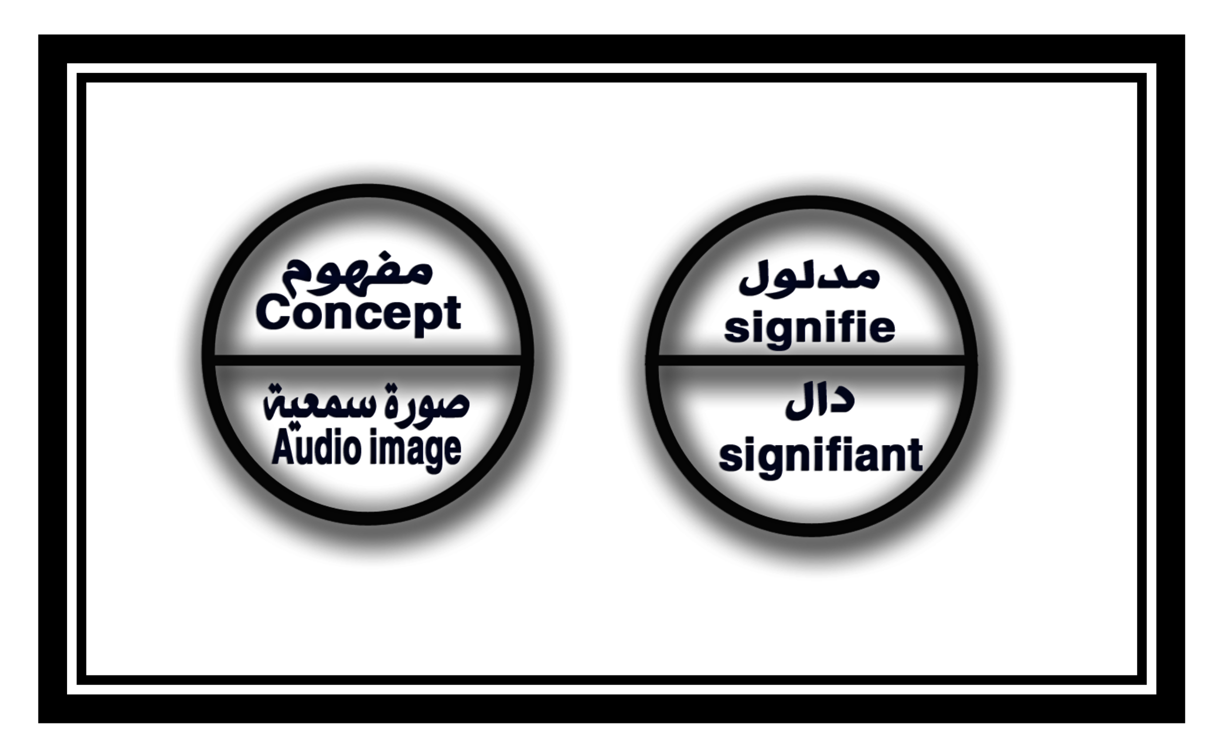
[٤] اللغة والخطاب،ص:٤٤و،٤٥.

و يسمّي سوسير التصوير (مدلولا) وليس المدلول هو الشيء بل التمثيل النفسي للشيء. وهذه الطبيعة النفسية للمدلول. هي ما عبر عنها سوسور بالتصور .هكذا فان مدلول الكلمات "دُر،نرجس،ورد،عناب" في قول ابي نوّاس:

((تَبْكِي وَتُذْرِي الْدُّر مِن نَرْجِس   و تُلَطِّم الْوَرْد بعنَابِ))[١]

لا يطابق الاشياء الموجودة بالخارج (المرجع) بل التمثيل النفسي (التصور او المفهوم) الذي يوجد لدى الفرد عن هذه الاشياء.[٢]

ونمثل فكرة سوسير في الشكل الاتي.



بدأ سوسير دراسته العلمية للغة متأثرًا بعالم الاجتماع (دوركايم). وما سردناه انفا (مفهوم سوسير عن طبيعة العلامة) يجسد تأثر سوسير بهذا العالم . فهو حاول ان يوجد في المستوى اللغوي نظيرا للظاهرة الاجتماعية في المستوى الاجتماعي، فالظاهرة الاجتماعية ذات وجود مستقل عن تحققاتها الفردية التي لا يمكننا اخضاعها للدراسات

---

(١) ديوان ابي نواس،شرح: إيليا الحاوي،الشركة العامة للكتاب ،بيروت ،لبنان،ط١، ١٩٨٧م،٥٣\١.
(٢) اللغة والخطاب،ص:٤٥.

العلمية، وكذلك الصورة الذهنية للدال اعتبرها ذات وجود مستقل عن صورها المادية ذات الطابع الفردي.[١]

من المعروف لغويًّا أن حصيلة العلاقة بين الدال والمدلول تنتج ما يسمى الدلالة فلابد لنا ان نتطرق قليلا لعلم الدلالة. ذلك العلم الذي يهتم بدراسة المعنى.

نحاول ان نلقي نظرة على نشأة هذا العلم ومن اول من تطرق له؟.

((فمصطلح علم الدلالة يعود اساسا الى عالم اللغة الفرنسي (ميشيل بريال Micheln Breal) ، ففي أواخر القرن التاسع عشر، قام (بريال) بدراسة علم الدلالة في كتابه بعنوان: (Essai de semantique science des significations).فعلم الدلالة وفق تصور بريل يهدف الى دراسة اسباب وسيرورات تغير دلالات الكلمة، في ظل تطور علم الدلالة، كفرع لعلم اللغة)).[٢]

ثم ظهرت ترجمة انجليزية لكتابه سنة(١٩٠٠م) تحت عنوان (samantics) وقد كانت الدراسات في اول امرها دراسات تاريخية اي ان البحث كان مقصورا على دراسة الكلمات وتغيير هذه المعاني على فترات مختلفة من الزمن وظلت الدراسات على هذا النهج بدون تغيير يذكر حتى جاء دي سوسير اللغوي السويسري الذي فرق بين المنهج التاريخي والمنهج الوصفي . وطبق هذا المبدأ على علم الدلالة.[٣]

ومن الجدير بالذكر ان علم الدلالة (samantic) كان يعني قديما وبالتحديد في القرن السابع عشر، يعني العرافة او النبوءة، ولم ترد هذه الكلمة في اي سياق اخر حتى عام (١٨٩٤م) حيث ظهر في بحث مقدم الى الجمعية اللغوية الامريكية (مسألة سمانتية) وقبلها بعام استعملها (بريال) كما اسلفنا وقد اخذها عن الاغريق.[٤]

وتعددت فيما بعد النظريات التي تناولت علم الدلالة وصارت مختلفة بحسب روادها . فمنها النظرية السياقية ، والاشارية ، والتصويرية ، والسلوكية ، وغيرها من النظريات التي اهتمت بدراسة هذا العلم.

---

[١] ينظر:مدخل الى علم اللغة ،د.محمد حسن،ص:٣٠٨.

[٢] نظرية العلامات عند جماعة فيينا {رودولف كارناب نموذجا}،د.محمد عبد الرحمن جابري،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت ،لبنان،ص١، ٢٠١٠م، ص:٢١٧.

[٣] ينظر: محاضرات في علم اللغة العام،د.البدراوي زهران، دار العالم العربي،القاهرة،ج٢، ط١، ٢٠٠٨م، ص:٢٤١و٢٤٢.

[٤] ينظر:علم الدلالة،بالمر،ترجمة:مجيد الماشطة،الجامعة المستنصرية، كلية الاداب،١٩٨٥م، ص:٣.

طبيعة الاشارة اللغوية

تعد ثنائية الدال والمدلول من الثنائيات التي طال الحديث عنها، وفتحت الباب للجدل بين سوسير وآخرين، ذلك الجدل حول العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فهل هي اعتباطية ام عرفية؟.

((يؤكد سوسير على الطبيعة الاعتباطية للإشارة اللسانية. لكن معظم السيمائيين يشددون على اختلاف الاشارة من حيث درجة الاعتباطية\الاصطلاحية. وتعكس الطبيعة الرمزية النسبية في الاشارة شكلا واحدا من اشكال العلاقة بين الدالات ومدلولاتها. وبالتحديد يعود التمييز البديهي بين الاشارات الاصطلاحية (الاسماء التي نطلقها على الناس والاشياء) والاشارات الطبيعية (صور تشبه ما تصوره) إلى زمن الاغريق (أفلاطون) كرايتلوس (Cratylus).))[١]

ان اللغة لدى سوسير نظام متراص ومتماسك بعضه ببعض، فانت ترى الكلمة في السياق الذي وردت به اكثر سبكا ورصانة منها اذا ما رأيتها بمعزلٍ عنه. فهو نظام يبرز اهمية الكلمة، ((نظام كل عناصره متماسكة، اي يقتضي كلّ شيء الآخر بشكل متبادل، فيه كل عنصر يتحدد من موقعه في الشبكة الكلية من العلاقات وأكثر من ذلك احصل كلّ علامة مفردة على قيمتها من خلال هذه الشبكة، من خلال حقيقة اختلافها عن كل العلامات الاخرى للنظام ذاته))[٢]

يقول سوسير ((ان دراسة الدال والمدلول ترتكز على مبدأين اساسيين: المبدأ الاول: الطبيعة الاعتباطية للإشارة، وهذا يعني ان العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية. ولا يختلف اثنان إذن في الطبيعة الاعتباطية للإشارة، لكن اكتشاف الحقيقة أسهل من وضعها في المكان المناسب، فالاعتباطية تسود دراسة علم اللغة، ولها نتائج لا تحصى، بيد ان هذه النتائج لم تكن واضحة للوهلة الاولى، اذ لا يكتشفها المرء الابعد عدة محاولات، وعند ذلك يدرك الاهمية الجوهرية لهذا المبدأ)).[٣]

---

[١] اسس السيميائية،دانيال تشاندلر،ص:٧٩و٨٠.
[٢] مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي،بريجيته بارتشت،ترجمة سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار،ط١، ٢٠٠٤م، ص:١١٠.
[٣] علم اللغة العام،ص: ٨٧.

((لقد استعملت لفظة الرمز (symbol) للدلالة على الاشارة اللغوية، او بمعنى ادق للدلالة ما اطلقنا عليه الان بالدال، إن استخدام لفظة الرمز لا يتفق مع صفة الاعتباطية، فمن مميزات الرمز انه لا يكون اعتباطيا على نحو كلّيّ، فهو ليس فارغا: إذ هناك (جذر) رابطة طبيعية بين الدال والمدلول فرمز العدالة – الميزان- لا يمكن ابداله اعتباطا برمز اخر، العربة مثلا.))[١]

وضّح سوسير مفهوم مبدا الاعتباطية وبيّنه حيث قال: ((إن كلمة الاعتباطية تحتاج الى توضيحٍ. فهذه الكلمة لا تعني ان امر اختيار الدال متروك للمتكم كلّيًا.(حيث سنرى ان الفرد لا يستطيع تغيير هذه الاشارة بعد ان تستقر هذه الاشارة في المجتمع اللغوي، بل اعني بالاعتباطية انها لا ترتبط بدافع، اي انها اعتباطية اي ليس لها صلة طبيعية بالمدلول.))[٢]

وعليه ان صفة الاعتباطية لا يجب ان توحي بان الدال من اختيار الفرد، إذ ليس للفرد القدرة على تغيير اي علامة باي طريقة كانت، بعد ثبوتها في المجموعة اللغوية، فالعلامة اعتباطية لكونها ليس لديها في الواقع اي صلة بالمدلول.[٣]

اما المبدأ الثاني (المبدأ الخطيّ أو الطبيعة الخطيّة) الذي يذكره سوسير إذ يقول انه واضح كل الوضوح وقد اهمله علماء اللغة لاشك في انهم وجدوه بسيطا جدا ومع ذلك له نتائج لا تحصى فأهميته تضاهي اهمية المبدأ الأول. فالدال السمعي يختلف عن الدال البصري في ان الدال البصري كإشارات الملاحة مثلا يوفر امكانية مجموعات على عدة ابعادٍ مختلفةٍ في آن واحدٍ، في حين ان الدال السمعي له بعد واحد، وهو(البعد الزمني)وتظهر عناصر هذا الدال على نحوٍ متعاقبٍ فهي تؤلف سلسلة، وتتضح هذه العلاقة عن طريق الكتابة فيحدث البعد المكاني للكتابة بدلًا من البعد الزماني لها.

إن العلاقة بين الفظ والمعنى والنقاش حولها قديمة جدا، فقد جذب هذا الموضوع اهتمام الهنود ربما قبل ان يجذب اهتمام اليونان، وقد تعددت حوله الآراء. فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلا: إن كل شيء يتصور بالوحدة الكلامية الدالة عليه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الاخر. وعلى هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصرا من العناصر المكونة للشيء تماما كما نعتبر الطين السبب الرئيس او المادي لكل المواد الترابية. ومنهم من صرّح بأن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة قديمة او فطرية او طبيعية ،وربما كان اصحاب هذا الراي هم انفسهم الذين يعتبرون نشأة اللغة على اساس

---

[١] علم اللغة العام،ص: ٨٧.

[٢] المصدر السابق،ص:٨٨.

[٣] ينظر:اللسانيات النشأة والتطور،ص:١٢٨.

محاكاة الاصوات الموجودة في الطبيعة. ومنهم من قال بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان. ومنهم من رأى ان الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة ، لكنها طبقا لإرادة إلهية.[١]

ونرى سوسير يقول باعتباطية اللغة لكن هذه الاعتباطية وضعت ثم تحولت فيما بعد الى علاقة عرفية لا يمكن تغييرها بمعنى انا تشبه الحرية المقيدة في اختيار الاشياء المباحة، اي شيء مباح فأباح له الاختيار ولكن ضمن الشروط التي يقتضيها المبيح.

هناك الفاظ واحدة لكن تختلف في معناها ،وهذه الالفاظ رغم انها الفاظ متفق عليها (دلاليا) لكنها تزداد وضوحا واكثر مفهومية بالسياق التي وردت به.

فهذه الظاهرة(تعدد المعنى والصوت واحد) تعرف بظاهرة الاشتراك اللفظي، او تجانس الصوت ،وهذا مصطلح احتفظ به في العرف للدلالة على المعاني المختلفة للألفاظ، اذا ما ادرج في القاموس هو مادة معجمية وليس الفاظا، فان كلمة "bank" لها دلالتان الاولى: لفظ يدل على شاطئ النهر، والثانية: لفظ يدل على تلك المؤسسة المالية، مع ان اللفظ لهذه الكلمة واحد، لكن تختلف في معناها وذلك يحدد بحسب السياق.[٢]

من الجدير بالذكر اننا نقول ان العبارة اصدق من الجملة ،فمثلا عندما اقول: (قد اشتد علي ثقل حرارة الشمس) في هذا اليوم من ١٣ مارس ٢٠١٤،فهذه العبارة تشير الى انني قد ارهقتني حرارة الشمس في ذلك التاريخ المذكور، غير ان هذه الجملة قد تستعمل لتدل على عبارة مختلفة ان نطق بها شخص اخر، وعلى هذا الاساس قيل ان العبارة وحدها يمكن ان تكون صادقة او كاذبة لا الجمل، هذا مختصرا ما ذكره (ليمون في منطقِهِ عام ١٩٦٦م).[٣]

نقول اذًا : إن سوسير نادى باعتباطية اللغة لكن هذه الاعتباطية تصبح لزومية بعد ان يتفق عليها الجميع، ونجد اختلاف الأسماء للأشياء بين اللغات الاخرى هي خير دليل على ذلك الكلام، فنحن بإمكاننا ان نسمي - بالاتفاق- الباب (كتابا)وعندما نقول افتح الكتاب نفتح الباب ويصبح اسم الباب (بالتداول والاتفاق) كتابا. وتتحول هذه العلاقة بين الاسم ومسماه (الشكل الخارجي للباب) والكتاب علاقة عرفية لزومية بسبب التداول والاتفاق.

---

[١]ينظر: علم الدلالة، د.احمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة،مصر،ط٥ ، ١٩٩٨م،ص:١٩.

[٢] ينظر:نظرية علم الدلالة(السيمانطيقا)،راث كيمبسون،ترجمة عبد القادر قنيني،دار الامان،الرباط،ط١، ٢٠٠٩م، ص:١١٨.

[٣]ينظر: نظرية علم الدلالة(السيمانطيقا)،ص:٥٣.

((فسوسير من اشهر المعارضين لاصحاب الصلة بين الالفاظ والدلالات، اذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق اونظام مطّرد، ومع اعترافه بتلك الصلة في الالفاظ التي تعد بمثابة الصدى لاصوات الطبيعة ، ويقرر انها من القلة في اللغات، ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الانسانية، بحيث لايصحّ ان نتخذ منها اساساً لظاهرة لغوية مطّردة، اوشبيهة بالمطّردة، هي – اذن – في رايه مجرد الفاظ قليلة تصادف ان اشبهت اصواتها ودلالاتها.))[1]

ومن الأصوات التي أشار اليها سوسير - مثلا – صوت الماء (الخَرِير) فهذا اللفظ له صلة بمعناه. وكذلك (الحَفيفُ) الصَّوْتُ الصَّادِرُ عَنْ تَحَرُّكِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ، فهذه الالفاظ وما شاكلها هي بمثابة الصدى لاصوات الطبيعة أي انها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمعناها.

---

[1] العلاقة بين اللفظ والمعنى من السقراط حتّى علم الهرمينوطيقا، كاظم عظيمي،(بحث نشر على شبكة الانترنت)، ١٢ نيسان (أبريل) ٢٠١٠، http://diwanalarab.com/spip.php?article22885.

المَبحثُ الثَّالِثُ

ثُنائِيّة التَزامُن والتعاقُب

التزامن والتعاقب (السنكروني والدايكروني)

كانت اللسانيات السائدة ما قبل سوسير هي اللسانيات التاريخية ، ولم يكن هنالك تمييز واضح بين اللسانيات التاريخية والوصفية كما يقول سوسير.

فالدراسات الوصفية :- هي التي تدرس اللغة (أي لغة) دراسة وصفية في نقطة زمنية معينة .فهي لا تدرس اللغات الحديثة او المعاصرة حصرًا، بل تدرس اللغات الميّتة ايضًا اذا توافرت فيها شروط الدراسات الوصفية.

اما الدراسات التاريخية:- فهي التي تقوم بدراسة اللغة عبر مراحل مختلفة ومتطورة من الزمن، أي إنَّ دراستها تمر بمراحل كما يمر الانسان بمراحل نموه.[١]

ميز سوسير بين هذين المنهجين على أساس مفهوم القيمة وهذا يضاف إلى ما قلناه عن سوسير (مسألة التأثر بعالم الاجتماع دور كايم) انظر "المبحث الثاني ،ص:١٤".فمفهوم القيمة هو مفهوم اقتصادي صرف.

ان المنهجين مهمان في الدراسات اللسانية ولا يجب الاغفال عن احدهما ، فالتاريخي منهج حركي حيوي، والوصفي منهج ثبوتي ساكن.

وما ينبغي ذكره هو ان سوسير ألحَّ على الفصل بينهما، وذلك لئلا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني.[٢]

فوجه سوسير الأنظار إلى ضرورة التوقف عن دراسة اللُّغة على وفق المحور الأول، والاتجاه إلى الدراسة الوصفية التزامنية، فدراسة مقطع نباتي طولي ليس كدراسة مقطع نباتي عرضي، لان الخصائص في الآخر تبدو كاملةً.[٣]

يعترف سوسير بصعوبة الدراسة اللغوية بالنسبة لعلم اللُّغة الثابت ،وعلل ذلك بان الحقائق اللغوية بارزة في علم اللُّغة التاريخي (حقائق التطور)،وعلاقتها المرئية ترتبط بين العناصر المرئية المتعاقبة زمنيا، التي يسهل فهمها فتتبع سلسلة من الأمور السهلة بل من الأمور المسلية، اما علم اللُّغة الذي يعالج القيم والعادات المتزامنة فتكثر فيه الصعوبات.[٤]

---

[١] ينظر:اللسانيات نشأة وتطور،ص:١٢٥.
[٢] ينظر:المَصدَرُ السّابِق،ص:١٢٦.
[٣] ينظر:محاضرات في اللُّسانيات،ص:١٤٦.
[٤] ينظر:علم اللُّغة العام،ص:١٢٠.

عند قراءة نص المحاضرات لفرديناند دي سوسير نجد ان سوسير كان دقيقا وواضحا كل الوضوح في استعمال المفردات او المصطلحات لمنهجيته اللغوية. فقد استعمل لفظة (الحالة) بدلا من (العصر)عندما يريد دراسة اللُّغة في زمن ما. لان العصر يجعل الانسان يفكر في الظروف المحيطة باللغة اكثر من تفكيره باللغة نفسها فكلمة العصر مقتبسة من التاريخ[١].

وظهر - في وقت ماضٍ من الزمن في دراسة علم اللُّغة الوصفي - منهجٌ يميل إلى الابهام والغموض في الدراسة اللغوية، وهذا لا يعتد به في الدراسة ، لان علم اللُّغة ما هو الا علمٌ لدراسة اللُّغة (لذاتها ولأجل ذاتها).فان كانت الدراسة لا تسد فراغ اللُّغة وتكشف عن ميزاتها وخصائصها لا تجدي نفعًا.[٢]

ظهرت إرهاصات المنهج الوصفي في فترة تاريخية مبكرة تسبق الميلاد بقرنين على الأقل، وذلك من خلال وصف اللغويين الهنود للغة السنسكريتية ، فقد جاء وصفهم منطلقا من اللغة ومنتهيا إلى نتائج لغوية خالصة تصف بدقة كل جوانب هذه اللُّغة . وقد افاد بعض اللغويين في القرن الثامن عشر من هذه الوجهة الوصفية في مقارنة اللغات الأوربية باللغة السنسكريتية ، ولما ازداد الاهتمام باللغة المنطوقة في القرن التاسع عشر أدى هذا الاهتمام إلى ظهور علم اللغة الوصفي كعلم يعطي اهتماما كبيرًا للغات الحية المتكلمة ويقلل من الاهتمام بالشواهد المكتوبة، غير أن الميلاد الشرعي لهذا العلم ظل ينتظر إلى ما بعد نشر كتاب دي سوسير (محاضرات في علم اللُّغة)، وفي هذا الكتاب تحددت ملامح هذا المنهج، وقد أثمر ذلك اتجاه الدراسات الوصفية في أمريكا نحو اكتشاف اللغات المجهولة من المجموعة الهندية الأمريكية مع الاهتمام بالنزول إلى حقل التجربة، واتجه الأوربيون إلى دراسة اللهجات التي ظلت تعاني زمانًا طويلا من الإهمال والتجاهل.[٣]

لقد أخذ دي سوسير على بعض الدراسات أنها أهملت دراسة اللغة من واقع النشاط الفعلي لمتكليمها ، كما أخذ عليهم إدخال العوامل التاريخية في أحكامهم التي تتصل باللغة المعاصرة ، وأخذ على البحوث المقارنة أنها لم تقدم إلا مجموعة من الفروض ،ورأى أن اللغة يمكن مقارنتها بدراسة من دراستين اما (الدراسة الوصفية) او (الدراسة التاريخية)،الامر الذي دفع سوسير الى ان ينادي بثنائية الدراسة الوصفية والتاريخية.[٤]

---

[١] ينظر:علم اللُّغة العام ، ص:١٢١.

[٢] ينظر:أسس علم اللُّغة ،ص:٢٥٧.

[٣] ينظر:مناهج البحث اللغوي ومدارسه، إبراهيم محمد إبراهيم،مقال، جامعة عمر المختار.ص:٤و٥.

[٤] ينظر: مناهج البحث اللغوي ومدارسه،ص٥.

ان الدراسات الوصفية لابد ان تتبلور في محور كي تتم ، فمحاور الدراسات الوصفية متمثلة في:

المحور الأول الزمان:

ينبغي تحديد الفترة الزمنية التي تدرس في اثنائه الظاهرة اللغوية ، لان اللُّغة تتغير بمرور الزمن، وتغير اللُّغة يتوقف على عوامل كثيرة ليس لدينا الا القليل عن كيفية تأثيرها.

وعلى الرغم من ان التغير عملية مستمرة فاننا نتغاضى قاصدين عن استمراريته، ونعد اللُّغة كأنها ثابتة او مستقرة في اثناء عملية البحث. ونجد – على هذا الأساس – اللغويين حريصين على ان لا يستغرق البحث فترة طويلة كي يُنجز اذا ما كانت اللُّغة المدروسة معاصرة للبحث بحيث لا تحدث تغيرات ذات أهمية في اثنائه. اما اذا اختار الباحث لغة في زمن سابق (ليست معاصرة للباحث) فعليه ان يضيق من الفترة المختارة ، للاعتبار السابق الذي تم ذكره.[1]

والمحور الثاني هو المكان:

ينبغي تحديد المكان الذي تقيم عليه الجماعة اللغوية التي ندرس لغتها ، لان اللُّغة تتغير باختلاف المكان فاللغة العربية اليوم ليست سواء فيما نطلق عليه العالم العربي، فهناك لهجة مصرية وعراقية وجزائرية .... ولكل لهجة خصائص صوتيّة وصرفيّة ونحويّة ودلاليّة تميّزها من غيرها من اللّهجات.[2]

((قد اخذ على علماء النحو العربي انهم عندما جمعوا المفردات العربية ودونوها في كتبهم عدوها وحدة واحدة وكل ما موجود في هذه الكتب من كلمات هو حجة ، ولم يراعوا الفارق المكاني لهذه المسألة، ونحن نعرف ان لغة الجنوب تختلف عن لغة الشمال العربي)).[3]

يقول أبو عمرو بن العلاء: ((ما لسانُ حمير واقاصيّ اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا)).[4]

---

(١) ينظر: مدخل الى علم اللغة، د.محمد حسن عبد العزيز، كلية دار العلوم،جامعة القاهرة،١٩٩١م، ص:١٣٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق،ص:١٣٩.

(٣) المَصدَرُ السّابِق، الصحيفة نفسها.

(٤) طبقات فحول الشعراء،ابن سلام،شرح:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،القاهرة،مصر،السفر الأول، ص:١١.

المحور الثالث والأخير المستوى:

لا تتنوع اللُّغة باختلاف الزمان والمكان فحسب ، بل ثمة تنوعات أخرى تحددها عوامل كثيرة مثل الوسيلة التي يستخدمها المتكلم في الاتصال (اللُّغة المكتوبة او المنطوقة) او المجال الذي تستخدم فيه (لغة الشعر ،لغة النثر، اللُّغة العلمية ....) او الموضوع الذي يتحدث فيه او الشخص الذي يتحدث اليه ، وهي تنوعات يغلب ان يشار اليها بالمستوى ، وبعض الباحثين يوجب على الدارس ان يحدد المستوى وفقا للاعتبارات السابقة.

ومن المعروف ان نحاة العربية استخلصوا قواعدهم من القرآن الكريم ومن اشعار العرب واقوالهم ولكنهم اغفلوا عاملا هاما هو نظام الجملة في الشعر ، نظام خاص يختلف عن نظامها في غيره من شواهد العربية، ومن ثم كثر الخلاف بين النحاة في بعض هذه الاشعار، فالبصريون مثلا يمنعون مطلقا ان يلي العامل معمول الخبر في باب كان الا اذا كان ظرفا او جارا او مجرورا، وعلى عكسهم الكوفيون يجيزون ذلك محتجين بقول الفرزد[١]:

((قنافذ هدَّاجون حول بيوتهم بماكان إياهم عطية عودا))[٢]

فاختلف النحاة كعادتهم :

فـ(كان) - في البيت - عند البصريين إما شأنية، وإما زائدة، فيكون عطية في الأول: مبتدأ، وعودا: فعل ماض، وألفه للإطلاق، وفاعله ضمير عطية، ومفعوله إياهم المتقدم على المبتدأ؛ والأصل عودهم، فلما تقدم انفصل، وجملة: عودهم خبر المبتدأ، والجملة الكبرى، أعني عطية عودهم، في محل نصب خبر كان، واسمها ضمير الشأن.[٣]

وقال البصريّون: إن عطية مبتدأ، وإياهم مفعول عود، والجملة خبر كان، واسمها ضمير الشأن.

وقد خفيت هذه النكتة على ابن عصفور، فقال: هربوا من محذور، وهو أن يفصلوا بين كان واسمها بمعمول خبرها، فوقعوا في محذور آخر، وهو تقديم معمول الخبر حين لا يتقدم الخبر. وقد بينا أن امتناع تقدم الخبر في ذلك لمعنى مفقود في تقدم

---

(١) مدخل الى علم اللغة،محمد حسن،ص:١٤١.

(٢) ديوان الفرزدق،شرح:إليا الحاوي،دار الكتاب اللبناني،بيروت ،لبنان،ط١، ١٩٨٣م ،٣٠٧/١.

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٤، ١٩٩٧م، ٣٥٥/٣.

معموله. وبهذه الأجوبة يرد على الكوفيين قولهم: يجوز أن يلي كان، أو إحدى أخواتها معمول خبرها غير الظرف.[١]

يمكننا ان نحصر أسس المنهج الوصفي بمجموعة من النقاط. وهي:

١. ((يعمد أنصار هذا المنهج إلى دراسة اللغة المنطوقة، لكونها أصدق في الوصف والوقوف على خصائصها وبخاصة الصوتية منها .كما لا يهملون اللغة المكتوبة، اهتمامهم بالمنطوقة أوسع وأعم)).[٢]
٢. ((تحديد فترة زمنية للظاهرة المدروسة، ويفضل أن تكون قصيرة؛ لأن طول الفترة الزمنية لا يخدم الدراسة لتعرض اللغة إلى أشكال مختلفة من التغير عبر الأزمان الطويلة، ومن ذلك بحث القدماء في الألفاظ الإسلامية مثل: (مؤمن، فاسق، كافر، صلاة، حج،.... إلخ)، والدلالات التي اكتسبتها هذه الألفاظ في ظل الإسلام)).[٣]
٣. تحديد بيئة معينة أو مكان محدد لدراسة الظاهرة حتى لا تختلط اللغات أو لهجات اللغة الواحدة بعضها ببعض، ومن ثّم عرف عندهم مصطلح (الراوي اللغوي) الممثل لبيئته الكلامية وجغرافيتها، ساحلية كانت أو جبلية. كما كان ممثلا لبيئته الاجتماعية وطبيعته التي ينتمي إليها.[٤]
٤. ((تحديد مستوى لغوي معين يدرسونه دون الخلط بينه وبين غيره من المستويات؛ حتى لا يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، والمستويات اللغوية هي: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)).[٥]
٥. وصف الظواهر اللغوية كما هي موجودة بالفعل، بغض النظر عن الخطأ فيها والصواب؛ لأنهم يصفون الظواهر وصفا علميا دقيقا أمينا، ومن ثم فهم لا يقدمون معايير تفرض على المتكلمين، لعدم ملاءمة ذلك مع المنهج الوصفي ويمكن اعتبار الأطالس اللغوية نموذجا للدراسة الوصفية عند المحدثين، فهي لا تعرض علينا سوى الواقع اللغوي مصنفًا دون تدخل من الباحث لتفسير ظاهرة، أو تعليل لاتجاه لغوي هنا أو هناك. وغالبا ما تنصب هذه الدراسة الوصفية على اللغات واللهجات المعاصرة ان كان بعض العلماء قد قاموا بمحاولات لدارسة اللغة

---

[١].حزانة الادب ولب لباب لسان العرب، ٣٥٥/٣.
[٢] مناهج البحث اللغوي ومدارسه،ص:٥.
[٣] المصدر السابق،الصحيفة نفسها.
[٤] ينظر: مناهج البحث في اللغة والمعاجم، عبد الغفار حامد هلال، القاهرة، ١٩٩١م،ص:١٦-١٨.
[٥] مناهج البحث اللغوي ومدارسه،ص:٦.

دراسة وصفية في زمن معين في الماضي، فأي دراسة صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة أو الحديثة، تعد دراسة وصفية.[١]

٦. يجب على الباحث الوصفي استبعاد الأحكام الجمالية أو التقييمية في اللغة، وانما عليه أن يبحثها من حيث كونها أصواتا ومفردات او تراكيبَ فيدرسها دراسة مجردة بغض النظر عن قيمتها أو مكانتها فيصل إلى قواعد و قوانين تتسم بالكلية، ومن ثَّم يمكن تطبيقها على أكثر من لغة.[٢]

إن الأساليب التي تتبعها الدراستان مختلفة في ناحيتين .

الناحية الأولى :الدراسات التزامنية لها نظرة واحدة ، وهي زاوية نظر المتكلمين ، والأسلوب الذي تتبعه يتكون من جمع الادلة من المتكلمين .ولمعرفة مدى حقيقة الشيء من الضروري واللازم معرفة مدى وجوده في عقول المتكلمين. اما علم اللغة التاريخي فيجب عليه ان يميز وجهتي نظر، احداهما توقعيّة تسير مسرى الزمن ، والأخرى تأملية رجعية تعود الى الوراء في الزمن.[٣]

الناحية الثانية : ((ان الاختلاف في هذه الناحية ناتج عن تحديد المجالات التي يتناولها كل علم من هذين العلمين، فالدراسة التزامنية ليس هدفها كل شيء متزامن ، بل هدفها الحقائق التي تتعلق بجميع اللغات ،وعلى هذا يتناول الفرعين اللهجات واللهجات الفرعية ان تطلب الامر. فلفظة (السنكروني) ليست لفظة دقيقة جدا ، لذا يجب استـــعمال لفظة بديلة لها وهي (اديو سنكروني) فهذه العبارة رغم طولها لكنها دقيقة .

اما علم اللغة التاريخي (الدايكروني) فلا يحتاج الى مثل هذا التخصص بل يرفضه تماما، وحتى الالفاظ الذي يدرسها لا تتعلق باللغة نفسها)).[٤]

---

[١] ينظر:المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط١٩٨٢،٢م، ص:١٨٣.

[٢] ينظر:مناهج البحث اللغوي ومدارسه،ص:٥و٦.

[٣] ينظر:علم اللغة العام،ص:١٠٨.

[٤] المصدر السابق،الصحيفة نفسها.

المبحث الرابع

الثنائية السياقية والإيحائية

الثنائية السياقية والإيحائية (التركيبية والترابطية)

نصل في بحثنا الى اخر ثنائية من ثنائيات **سوسير**، الا وهي الثنائية السياقية والإيحائية.

إن نظرة سوسير للغة نظرة فاحصة شاملة وموسّعة فكان عمله دقيقًا على جميع الصعد فجاء متكاملا مضبوطًا ((وإن اهم ما يميز عمل سوسير في اللغة ، هو انه نظر اليها على انها شبكة من العلاقات المتداخلة والمتقاطعة في محورين " احدهما أفقي (تركيبي) والآخر عمودي (استبدالي). فكل ما يتعلق بالأحكام التركيبية من اعراب وربط، واشتقاق وصفات وغير ذلك يمكن ارجاعها الى العلاقات الترابطية (التركيبية)، اذ تحقق هذه العلاقات بالربط بين وحدتين تمثلها العلاقة الاسنادية بين الفعل والفاعل ، او المبتدأ والخبر، وقد تتوسع هذه العلاقة الى متممات، ويمكن للتركيب ان يتوسع ويتكون من عدد غير محدود من الوحدات اللغوية.))[١]

ان العلاقات الترابطية تمثل علاقات افقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة ، وتضفي كلّ وحدة معنى إضافيا على الكلّ وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى، ولا تكتسب قيمتها الا بتقابلها مع الوحدات اللغوية الأخرى السابقة لها واللاحقة بها او معهما جميعا ، وتسمى هذه الأنساق الخطية (تراكيب) فجملة "صار الطقس باردا" هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات هي (صار، الطقس، باردًا) اما على مستوى المفردات فتتمثل هذه العلاقة في دمج بعض الصوامت في انساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات اللغة.[٢]

اما ((المحور الايحائي (الرأسي) هو مجموعة من الاستبدالات المعجمية والصرفية ، أي مجموعة من الكلمات والمفردات المتراصة عاموديا.))[٣]

ويثير المحور الرأسي مجموعة من التداعيات ، كالتعالق والترادف والتضاد او حتى التشابه الصوتي بين المفردات، بينما الجانب او المحور الآخر(الافقي) هو الذي تتعالق في المفردات وفيه يتم تركيب العبارات في جمل تسهل عملية التكلم.[٤]

---

[١] ثنائيات اللغة أصول النظرية اللسانية،د.دليلة مزور،مقال ،قسم اللغة العربية، كلية الاداب ،جامعة محمد خضير،سكرة،ص:٩و١٠.

[٢] ينظر: اللسانيات نشأة وتطور،ص:١٣٠و١٣٠.

[٣] محاضرات في اللسانيات،ص:١٤٦.

[٤] ينظر:المصدر السابق،الصحيفة نفسها.

يرتبط المحور السياقي والتركيبي بـ(العلاقات السنتاكمية). وهي علاقات حضورية تقوم على أساس وجود عنصرين او اكثر في الوقت نفسه. يقول سوسير:((تكسب الكلمات في الحديث علاقات تعتمد من جهة الطبيعية الخطية للغة ، لأنها مرتبطة بعضها ببعض وهذه الحقيقة تحول دون النطق بعنصرين في آن واحد.... إن هذه العناصر مرتبطة بصورة متعاقبة في سلسلة الكلام فالربط الخطي ينتج عنه السنتاكم ، ويتألف السنتاكم من وحدتين متعاقبتين او اكثر .... ويكتسب العنصر قيمته في السنتاكم ، لأنه يتقابل مع كل ما يسبقه او يأتي بعده، او معهما في آن واحد.))[١]

ان العلاقة الإيحائية هي التي تكون فيها الكلمات مكتسبة علاقاتها خارج الحديث، فالكلمات التي تشترك في امر ما ترتبط معا في الذاكرة . ويتألف منها مجموعات تتميز بعلاقات متنوعة، فعلى سبيل المثال توحي الكلمة الفرنسية (enseignement) (تعليم) بصورة لاشعورية بعدد كبير من الكلمات مثل(enseigner) (يعلم) (reneseigner) يتعرف على ، او توحي بالألفاظ (armenrent) =تسليح و(changement) تعديل وغيرها... فجميع هذه الكلمات ترتبط بعضها ببعض بطريقة ما.[٢]

((ونلاحظ ان الارتباط الذي يتألف خارج الحديث يختلف كثيرا عن ذلك الذي يتكون داخل الحديث . فالارتباطات التي تقع خارج الحديث لا يدعمها التعاقب الخطي ، ويكون مكانها في الدماغ: فهي جزء من الذخيرة الداخلية للغة التي يملكها كل متكلم ، وتسمى هذه العلاقات بالعلاقات الإيحائية.))[٣]

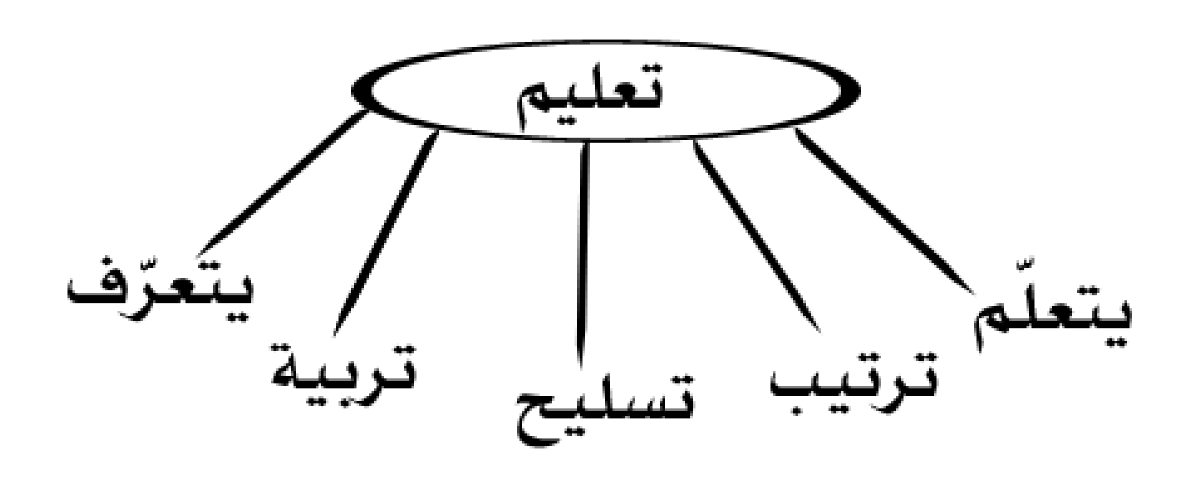
يقول سوسير: ان السنتاكم هو جزء من الكلام، ويبرهن ذلك رادا على الذين يعترضون بقولهم ان الجملة هي النمط المثالي للسنتاكم. فسوسير يؤكد على ان الجملة هي جزء من الكلام وليست جزءً من اللغة. فالكلام يتميز بحرية تكوين ارتباطات ، ويتضح لنا ان كثيرا من العبارات هي جزء من اللغة ، وهذه العبارات ثابتة لا يصيبها أي تغيير نتيجة الاستعمال. وان كنا نستطيع تشخيص معاني عناصرها.... وينبغي ان نذكر انه لا توجد في السنتاكم حدود واضحة بين حقائق اللغة وهي علامات للاستعمال الجماعي، والعلاقات التي تعود الى الكلام وتعتمد على الحرية الفردية ، ومن الصعب

---

(١) علم اللغة العام،ص:١٤٢.وينظر: محاضرات في اللسانيات،ص:١٤٦و١٤٧.
(٢) ينظر:علم اللغة العام،ص:١٤٢.
(٣) المصدر السابق،الصحيفة نفسها.

في عدد كبير من الأمثلة أن نصف ارتباط الوحدات لان كلا العاملين قد اشترك في تكوينها بنسب غير مقررة.[1]

إن السنتاكم يدل دائما على نظام من التعاقب وعلى عدد ثابت من العناصر ، اما العناصر في المجموعة الإيحائية فهي لا تقع في نظام ثابت او عدد ثابت، فاذا ربطنا ايحائيا بين كلمة وغيرها ، فإننا لا نستطيع التنبؤ بعدد الكلمات التي توحي بها الذاكرة او النظام الذي تظهر فيه هذه الكلمات ، فالكلمة تشبه المركز في مجموعة فلكية ، يلتقي فيها عدد غير محدود من العناصر المتشابهة (انظر الشكل الآتي).



فكلمة تعليم تتفرع عنها فعلها تعلم وتربية وتسليح ...

إن اللغة تتكون من علاقات سنتاكمية وعلاقات ايحائية تتنوع هذه العلاقات فيما بينها في اللغة((وابرز ما في ترتيب اللغة هو الترتيب السنتاكمي ، إذ تكاد جميع الوحدات اللغوية تعتمد على ما يحيط بها في السلسلة المنطوقة او تعتمد على الأجزاء التالية لها .ويدل على ذلك تكوين الكلمات ، فالوحدة (painful) (مؤلم) مثلا يمكن تحليلها الى وحدتين فرعيتين (pain-ful) ولكن هاتين الوحدتين الفرعيتين ليستا جزأين مستقلين جمع بينهما اعتباطا (pain- ful) ان الوحدة ناتج نهائي، او ترابط لعنصرين يعتمد احدهما على الاخر ، ويكتسبان قيمتهما من الفعل المتبادل بينهما في الوحدة

[1] ينظر:علم اللغة العام،ص: ١٤٣و١٤٤.

العليا(ful×pain) .وهذا ينطبق أيضا على اللغة العربية ،فكلمة (مدرسون) لا تتكون من (مدرس+ون) بل هي من (مدرس×ون) أي من الفعل المتبادل بين الوحدة العليا.[1]

(كتبتُ سبعَ قصص)، اختار قائل هذا الكلام كلماته ليعبر بها عن فعل الكتابة لقصة فاختار كلمة كتب للدلالة على الكتابة واستبعد (قرأت، سمعت) ... واختار (التاء) ذلك الضمير المتصل المرفوع للدلالة على المتكلم واستبعد (النون،الكاف،الهاء...) واختار سبعًا واستبعد غيره من الأرقام ولم يقلْ محاضرة او قصيدة وغيرها .... فهذه التراكيب تشكل تعبيرا عن الفكرة التي يريد الشخص المتكلم ايصالها، في اثناء الاختيار والتثبيت والاستبعاد للكلمات ، أي ان اللفظة تعبر عن دلالة الكلمة والصورة المراد ايصالها.((والملاحظ ان كل كلمة من الكلمات المختارة في علاقة استبدالية مع غيرها من الكلمات المستبعدة، فالتركيب متوقف على انتقال المتكلم وخياراته مضافا إليها متطلبات الموقف التي تدفع بالمتكلم الى التدقيق في الخيارات لتحقيق الهدف الإبلاغي، وبالمقابل فان علاقة المشابهة تتجسد في الكلمات التي تغير المعنى نحو كتبت بقابل سمعت ،وقد وصف العلاقة هنا بعلاقة التغاير وهي إحدى علاقتين تندرجان تحت علاقة الاستبدال والعلاقة الأخرى هي علاقة التشابه))[2]

والبين هنا ان طرح سوسير في العلاقات الترابطية وحدوث ائتلاف بين الوحدات اللغوية داخل التركيب يقترب من طرح الجرجاني الذي يرى ان الفرق بين الجمل ليس في حركات الاعراب التي تلحق أواخر الكلم، ولا في الالفاظ من حيث هي الفاظ مفردة ، وانما في تلاؤم المعاني للألفاظ المجاورة في التركيب[3].((من هذه الخصائصِ التي تملؤك بالإِعجازِ روعةً وتحضُرُك عندَ تصورِها هيبةٌ تحيطُ بالنفس من أقطارِها تعلقاً باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ وحُرُوفٌ تَتوالى في النُّطق أم كلُّ ذلك لما بينَ معاني الألفاظ منَ الاتِّساق العجيب فقد اتَّضح إذاً اتِّضاحاً لا يدعُ للشكِّ مجالاً أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدةٌ ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ . وأن الألفاظَ تَثْبتُ لها الفضيلةُ وخلافُها في ملاءمةِ معنى اللفظةِ لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق

[1] ينظر:علم اللغة العام،ص:١٤٧.
[2] أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحدية ،محمد محمد يونس علي،مقال،عالم الفكر،العدد الأول ،المجلد٣٢،كانون الثاني٢٠٠٣م،ص:١٣٨.
[3] ثنائيات اللغة أصول النظرية اللسانية،ص١٢.

له بصريحِ اللفظ . وممَّا يشهدُ لذلك أنك تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ ثم تَراها بعينِها تثقلُ عليكَ وتُوحشكَ في موضعٍ آخرَ))[١]

كلفظة الاخدع في بيت الحماسة :

((تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيَّ حَتّى وَجدْتُني ... وَجِعْتُ من الإِصْغاءِ لِيْتاً وأخدعا))[٢]

وبيت البحتري (الطويل) : -

((وإنّي وإنْ بَلَّغْتَنِي شَرَف الغِنى ... وأَعْتَقْتَ مِنْ رِقِّ المطامِعِ أَخْدَعِي))[٣]
((فإنَّ لها في هذين المكانَين ما لا يخفى منَ الحُسن .))[٤]

وتلخيص لما تقدم نؤكد ان (المحور السّياقيّ) هو الكلمات التي توجد بالجملة (السياق) وتكون واضحة لا تحتاج تأويلا. لذلك سمي هذا المحور الافقي. اما الايحائي فهو الذي يكون مجاله الذاكرة ويحتاج تأويلا وتأملا. لذلك سمي بالأفقي (مجموعة من الكلمات المتراصة عموديًّا).

---

(١) دلائل الاعجاز،عبد القاهر الجرجاني،تحقيق:محمود محمد شاكر،مكتب الخانجي ،مطبعة المدني،القاهرة،مصر،ص:٥٤.

(٢)نظرا لعدم وجود الديوان(ديوان الصمة بن عبد الله القشيري) اكتفي بالإشارة للشاعر بنظر الدلائل(والعهدة على الراوي).

(٣) ديوان البحتري ،شرح: حسن كامل الصيرفي ،ص:١٢٤١.

(٤) دلائل الاعجاز، ص:٥٤.

الخاتمة

الحمدُ لله اذ منّ عليَّ بمنِّهِ فاتممت بحثي وله الحمد.فبعد أن انهيت البحث كنت قد تناولت ثنائيات اللغة عند فرديناند دي سوسير، فمهدت بتعريف علم اللغة ومن ثم نشأتها عند اللغويين وتناولت حد(ابن جني)ومرورا بالمحدثين أمثال (سوسير)،وعرفنا انها (الدراسة العلمية للغة)او(درسة اللغة لذاتها ومن اجل ذاتها)،ثم عرجت على نشأة اللغة عند القدماء مرورا بالعصر الحديث ونقطة التحول التي حصلت في العام ١٩١٦م على يد (شارلي والبرت) طالبي سوسير بنشرهم للمحاضرات التي دوناها عن سوسير.

بعدها انتقلت الى المبحث الأول متناولا به ثنائية اللغة والكلام وعرفنا ان اللغة نظام يختص بالمجتمع ،فقلنا : تشير اللغة الى منظومة من القواعد والاصطلاحات المستقلة عن الافراد الذين يستعملونها، وتوجد قبلهم. ويشير الكلام الى استخدام اللغة في تحققات خاصة. فالكلام فردي واللغة جماعية.وفضل سوسير اللغة على الكلام تفضيله الجماعي على الفردي.

ثم انتقلت الى المبحث الثاني ، لأتناول فيه ثنائية الدال والمدلول والتعريف بهما حيث (إن الدال والمدلول لدى **سوسير** طرفا العلامة اللغوية. **فالدال** : هو الصورة الصّوتية السّمعية المُكونة من مجموعةٍ من الاصوات التي تثير لدى المستمع تصورًا نفسيّا ما فيؤدي هذا التصور بدورِهِ إلى المدلول. **فالمدلول** إذًا هو ذلك التصور الذهني النفسي الذي يملكه الفرد عن الواقع الخارجي). وتناولت جانبا من الجوانب المهمة الا وهو (طبيعة الإشارة اللغوية)، فتبين لنا ان سوسير ينادي باعتباطية للغة. ولكنها تصبح فيما بعد وكأنها متفق عليها مسبّقا بين المتكلمين وذلك يحصل بالتداول والاستعمال. ولكن أشار سوسير بعد ذلك الى أسماء الأصوات التي وصفها بانها (صدى) حيث اعترف بوجود علاقة عرفية بينهما (الصوت ومايدل عليه) الخرير مثلا (صوت الماء) فهذا الاسم يحاكي الصوت.

وبعدها نصل إلى المبحث الثالث، لنتناول به ثنائية التزامن والتعاقب وتفضيل سوسير الدراسة الوصفية الساكنة على التاريخية الحركية لانه يحتج بقوله انه لايهمنا تاريخ صنع قطع الشطرنج بقدر مايهمنا علاقة هذه القطعة مع بعض القطع في اللعبة، وكذلك دراسة مقطع عرضي للنبات تظهر فيه جميع الخصائص.

وأخيرا نصل إلى المبحث الرابع والأخير، حيث الثنائية السياقية والايحائية ، فالايحائية هي مجموعة من الكلمات المتراصة عموديا في ذهن الشخص ورسمنا لهذا الكلام شكلا

توضيحيا، والسياقية هي مجموعة من الكلمات التي تتحد مع الكلمات السابقة لها واللاحقة بها. وتناولنا تقارب سوسير بالافكارمع العالم العربي عبدالقاهر الجرجاني.

فتكون الثنائيات السوسيرية هي التي رسمت ملامح الدرس اللساني الحديث والناظر نظرته الأولى إلى اللسانيات يجد انها من صنع سوسير، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان سوسير هذب النظريات والأفكار السابقة والبسها اثوابا حداثية ،ليواكب بها نظريات العلم الحداثية ، مستغلا بذلك الأخطاء التي وقع بها السابقون من العلماء. فتكون تلك العبارة قد تحققت تحققا فعليًا (تاريخ اللسانيات تاريخ أخطاء).

في الختام ارجو من الله تعالى ان يوفقني إلى مايحبّه ويرضاه ، وان أكون قد استوفيت المادة رغم جهدي المتواضع، والسلام...

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِع

- ﴿القرآن الكريم﴾

١. اسس السيميائية ،دانيال تشاندلر،ترجمة د.طلال وهبة،ومراجعة د.ميشال زكريا،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،لبنان،ط١، ٢٠٠٨م.
٢. اسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة احمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة، ط ٨، ١٩٩٨م.
٣. أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحدية ،محمد محمد يونس علي،مقال،عالم الفكر،العدد الأول ،المجلد٣٢،كانون الثاني٢٠٠٣م،ص:١٣٨.
٤. التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث (الاصول والاتجاهات)،د.خالد خليل هويدي،مكتبة عدنان،بيروت،ط١، ٢٠١٢م.
٥. التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال محمد علي بشر،دار غريب،القاهرة،٢٠٠٥م.
٦. الثنائيات اللسانية،د.التهامي الراجحي الهاشمي،دار النشر المغربية،المغرب.
٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب المؤلف،عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٤، ١٩٩٧م.
٨. الخصائص،ابو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)،تحقيق عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ٢٠٠٣.
٩. دلائل الاعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت ٤٧١هـ)، تحقيق:محمود محمد شاكر،مكتب الخانجي ،مطبعة المدني،القاهرة،مصر.
١٠. ديوان ابي نواس،شرح: إيليا الحاوي،الشركة العامة للكتاب ،بيروت ،لبنان،ط١، ١٩٨٧م،ج١.
١١. ديوان البحتري ،شرح: حسن كامل الصيرفي ،دار المعارف، مصر،ط٣، ١٢٤١/٢.

١٢. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي أبو عبد الله البصري(ت٢٣٢هـ)، شرح:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني، القاهرة،مصر،السفر الأول.
١٣. علم الدلالة،احمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة،مصر،ط٥ ، ١٩٩٨م.
١٤. علم الدلالة،بالمر،ترجمة:مجيد الماشطة،الجامعة المستنصرية،كلية الاداب،١٩٨٥م.
١٥. اللحن اللغوي واثاره في فقه اللغة،محمد عبدالله ابن التمين،دار الشؤون الاسلامية ،الامارات،دبي،ط١، ٢٠٠٨م.
١٦. فصول في فقه اللغة العربية،الدكتور رمضان عبد التواب،متكبة الخانجي،القاهرة.
١٧. اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة،د.نعمان بوقرة،عالم الكتب الحديث، عمان، ٢٠٠٩م.
١٨. اللسانيات النشأة والتطور،الاستاذ احمد مومن،معهد الدراسات الاجنبية،جامعة قسنطينة، الجزائر، ط٢،٢٠٠٥م.
١٩. اللغة والخطاب،عمر اوكان،افريقيا الشرق،بيروت،لبنان،٢٠٠١م.
٢٠. مباحث تاسيسية في اللسانيات،د.عبد السلام المسدّي،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،لبنان،ط١، ٢٠١٠م.
٢١. محاضرات في علم اللغة العام،د.البدراوي زهران،دار العالم العربي،القاهرة،ج٢، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢. محاضرات في اللسانيات العامة (سلسة محاضرات على وفق مقررات اللسانيات في الجامعات العراقية)،الدكتور خالد خليل هويدي، الدكتور نعمة دهش الطائي، مكتبة نور الحسن ، بغداد،٢٠١٥م.
٢٣. مدخل الى علم اللغة،محمد حسن عبدالعزيز،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة،١٩٩١م.
٢٤. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط٢،١٩٨٢م.
٢٥. مدخل للسانيات سوسير،د.حنون مبارك،دار توبقال،الدار البيضاء،المغرب،ط١، ١٩٨٧م.
٢٦. مناهج البحث في اللغة والمعاجم، عبد الغفار حامد هلال، القاهرة، ١٩٩١م.
٢٧. مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي،بريجيته بارتشت،ترجمة سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار،ط١، ٢٠٠٤م.

٢٨. المعنى وظلال المعنى(أنظمة في الدلالة العربية)،د.محمد محمد يونس علي، دار المدار الاسلامي،بيروت،لبنان،٢٠٠٧م.
٢٩. النحو بين القديم والحديث،محمد محمد غالي،الشركة المصرية العالمية،مصر،ط١، ٢٠٠٤م.
٣٠. نظرية العلامات عند جماعة فيينا {رودولف كارناب نموذجا}،د.محمد عبد الرحمن جابري،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت ،لبنان،ط١، ٢٠١٠م.
٣١. نظرية علم الدلالة(السيمانطيقا)،راث كيمبسون،ترجمة عبد القادر قنيني،دار الامان ، الرباط ،ط١، ٢٠٠٩م.

البحوث والمَقَالات

٣٢. ثنائيات اللغة أصول النظرية اللسانية،د.دليلة مزور،مقال ،قسم اللغة العربية، كلية الاداب ،جامعة محمد خضير،سكرة.
٣٣. سوسير ولسانيات الكلام،د.نعيمة سعدية،مقال،جامعة محمد خضير،سكرة،كلية الادب واللغات،قسم الاداب واللغة العربية.
٣٤. العلاقة بين اللفظ والمعنى من السقراط حتّى علم الهرمينوطيقا، كاظم عظيمي،(بحث نشر على شبكة الانترنت)، ١٢ نيسان (أبريل) ٢٠١٠، http://diwanalarab.com/spip.php?article22885.
٣٥. مقال نشر على شبكة الانترنت،(بحث حول اللسانيات)،منتدى سبيل الافضل،على الرابط، http://sabil.alafdal.net/t217-topic.
٣٦. مناهج البحث اللغوي ومدارسه، إبراهيم محمد إبراهيم،مقال، جامعة عمر المختار.


تم بحمد الله